مجلة الباحث – المدرسة العليا للأساتذة الشيخ العلامة مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر

المجلد: (16)	العدد: (02)	السنة: 2024	صفحات المقال: 830–848	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

المعتقد الديني عند شعب المايا (250م-950م)

Religious belief among the Maya people
(250 AD,950 AD)

دليلة بورني

جامعة الجزائر(2)، أبو القاسم سعد الله، (الجزائر)

dalilaboureni@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2024/04/22 تاريخ القبول: 2024/08/04 تاريخ النشر: 2024/09/30

الملخص:

المعتقد الديني ركيزة المجتمعات ، غذاء الروح ومنظم العادات ومعمم الطقوس التي تقام للمعبودات المختلفة المهام عند الشعوب القديمة ، ولم يكن شعب المايا استثناء حيث قدس الكثير من المعبودات ذات صلة بالحياة والموت. تكمن الفكرة العامة للمعتقد الديني عند شعوب أمريكا الوسطى عامة و شعب المايا خاصة وهي ذات أهمية ومتميزة وتتعلق بقدسية كل العناصر الطبيعية والكونية المرئية منها والميتافيزيقية لأنها هي المسيرة للكون، إذ تتجلى كقوى تؤثر إيجابيا أحيانا وسلبيا أحيانا أخرى على حياة البشر وعلى النظام الكوني ككل ، فمثلا القوة المتحكمة في الامطار ترمز للخصوبة لانها مصدر الحياة حيث تنبت الزرع وتحميه، لكنها أيضا تتلفه بالفيضان ، لذلك وجب تقديسها وتعظيمها بتقديم فروض الطاعة لها واسترضائها دائما في طقوس احتفالية خاصة و تقديم قرابين متنوعة .

من المعبودات التي قدسها وعبدها المايا نجد المعبود اتزامنا (Itzamnaa) أول وأقدم الالهة، شاك (Chac) اله المطر، اله الذرى واله الموت أضافة الى تقديسهم للشمس والقمر وغيرها من المعبودات. لهذه الالهة أقام المايا الاحتفالات الدينية وادى الطقوس والقرابين، وكان أهمها التضحية البشرية والتضحية الذاتية والتي تصاحبها عمليات التبخير بمختلف البخور ذات الروائح الزكية .

الكلمات المفتاحية: المايا، المعتقد، شاك، القرابين، التضحية بالبشر، الطقوس الدينية.

Abstract:

Religious belief is the pillar of societies, the nourishment of the soul, the organizer of customs, and the generalizer of rituals held for various deities important to ancient peoples. The Maya people were no exception as they sanctified many deities related to life and death. The general idea of religious belief lies among the peoples of Central America in general and the Maya people in particular, and it is important and distinct and relates to the sanctity of all natural and cosmic elements, both visible and metaphysical, because they are the guide to the universe, as they appear as forces that sometimes affect positively and sometimes negatively on human life and On the cosmic system as a whole For example, the force that controls the rain symbolizes fertility because it is the source of life, it grows the crops and protects them, but it also destroys them in the flood , it must therefore be sanctified and glorified by offering obedience to it and always appeasing it in special ceremonial rituals and presenting various sacrifices.Among the deities sanctified and worshiped by the Mayans, we find the deity Itzamnaa, the first and oldest deity, Chac, the god of rain, the god of offspring, and the god of death. This added to their reverence for the sun, the moon, and other deities

Keywords:

Maya ; belief ; Shaq ; Offerings ; human sacrifice ; Religious rituals.

المجلد: (16)	العدد: (02)	السنة: 2024	صفحات المقال: 830–848	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

1. مقدمة:

تقتصر المعطيات المتوفرة حول موضوع المعتقد والدين عند المايا خلال الفترة الكلاسيكية على الكتابات القليلة التي كتبها بعض القسيسين الإسبانيين من القرن السادس عشر أمثال القس "دي لاندا" والكتب التي أعاد صياغتها المايا باللغة المحلية والأحرف اللاتينية منها كتاب "بوبول فو" وكتب "شيلام بلام"، إضافة إلى ما تحتويه المخطوطات الثلاثة من غليفات ورسومات إذ تعتبر هذه المصادر قليلة جدا والتي توفر للباحث مادة دسمة و معطيات واضحة ومفهومة ، لذلك اعتمد الباحثون و الدارسون لموضوع المعتقد والدين على القراءات والاستنتاجات لمختلف المخلفات الأثرية خاصة تلك النصوص الغليفية المنقوشة على مختلف المباني من معابد و قصور و التي تزين جدرانها و أسقفها و أعمدتها و على سواقف و أطر الأبواب و النوافذ؛ و التي تعالج في معظمها أفكارا مرتبطة بالمعتقد ذات أبعاد و طبيعة كونية من خلالها يمكن إبراز نظرة المايا للعالم أو طقسا احتفاليا دينيا ، و مع تقدم الباحثين في فك سر الرموز الغليفية انتقلوا إلى دراسة محتوى الرسومات التي تظهر على الخزفيات من أكواب ومزهريات وصحون وغيرها التي تعالج مواضيعا أسطورية مرتبطة بالمعتقد والدين، كما وصف الباحثون أيضا مختلف النقوش التي تزين النصب الحجرية والمذابح وبلاطات القبور. وبذلك يمكن القول أن كل الابداعات الفنية والثقافية التي تركها المايا مرتبطة بنظرتهم الدينية للعالم و للحياة التي ترتكز على فكرة خلق الكون، من طاقة مقدسة والتي تظهر تحت أشكال أو طرق متعددة ومن خلال موجودات (كائنات) طبيعية مختلفة والتي تثير الأحداث وفق الدورة الزمنية؛ منه[1] يعتبر المايا كل الكون وعناصره وموجوداته مقدسات مثل الشمس و نورها، ظهورها واختفائها، الأرض وما خرج من باطنها من زرع ومياه جوفية، الصواعق والرياح والأمطار والسماء وكواكبها ونجومها، كل المخلوقات الحيوانية والنباتية وحتى الصخور والسبب في انتشار هذه القدسية بشكل واسع راجع لاعتقاد المايا الأصلي في كمون القوة المقدسة في كل هذه العناصر والمخلوقات ولأنها تستطيع التأثير إما إيجابا أو سلبا على حياة الإنسان وعلى النظام الكوني، لهذا وجب على الإنسان عامة والحاكم خاصة تقديرها واحترامها، والعمل على التقرب منها بغية إرضائها وجعلها من

المجلد: (16)	العدد: (02)	السنة: 2024	صفحات المقال: 830–848	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

القوى النافعة غير الضارة لحياة البشر وذلك بتفعيل الطقوس الاحتفالية وتقديم القرابين بانتظام لها لأنها تبقى في نظر المايا قوى خطيرة لا يستطيع السيطرة عليها أو التحكم فيها

مما يصعب دراسة موضوع المعتقد والدين عند شعب المايا بشكل أكبر تلك الميزة التي يتميز بها المعتقد حيث ازدواجية القوى بمعنى أن كل القوى والآلهة مزدوجة فيها الخير والشر في نفس الوقت، الحياة والموت، النور والظلام، وغيرها،...، تلك القوى المسيرة والمتحكمة في نظام الكون وحياة و مصير الإنسان مثل "شاك" القوى المتحكمة في الأمطار لكن أيضا في البرد وفي الفترات المطيرة الرطبة التي تتسبب في اتلاف مزروع الذرى وعليه فإن الرموز الدالة على هذه القوة تختلف بإضافة اللواحق الدالة على صفة القوة المراد التعبير عنها، وبذلك فإن مصطلح شاك يرتبط بعدة رموز غليفية مثل: شاك كزيب شاك " chac xib chaac" وكان كزيب شاك " can xib chaac")[1] .

طرح الإشكالية:

يعتبر الدين عماد المجتمعات القديمة بما ان المعتقد روح الحياة و محركها نحو التطور و هذا ما حدث لشعوب أمريكا الوسطى على غرار كل الشعوب القديمة الأخرى لهذا جاءت الإشكالية كما يلي : كيف استخدم شعب المايا المعتقد في التطور الذي عرفه ؟ و بما تميز الدين عند شعب المايا ؟

الهدف من الدراسة : من اهداف هذه الدراسة توضيح و اظهار:

– جوانب من المعتقد الديني عند شعب من شعوب أمريكا الوسطى، بالتحديد شعب المايا.

– التعرض الى بعض المميزات التي تميز بها المعتقد الديني عند شعب المايا عن باقي المعتقدات القديمة الأخرى .

– التعريف بالطقوس والاحتفالات والغاية من تأديتها واثرها على الحياة .

المنهجية المتبعة:

تطلب مضمون المقال اعتماد المنهج الوصفي والمنهج التحليلي للوصول الى الأهداف المسطرة لهذه الدراسة .

المجلد: (16)	العدد: (02)	السنة: 2024	صفحات المقال: 830–848	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

2- تصور الكون:

يظهر الكون في تصور المايا بمختلف الصور والرسومات على أنه نظام متكامل متناسق جد منظم، حيث يتصوره المايا في شكله العمودي أين تتطابق المستويات بعضها فوق بعض، كما يمكن أن يظهر بشكل أفقي حيث يكون مسطحا أين تتقاطع الجهات الأربعة إضافة للجهة الخامسة وهي نقطة التقاطع و مركز السطح ، ويصور المايا الفصول الأربعة في شكل الصليب[2] . (الملحق 1)

ففي التصور العمودي، يقسم المايا الكون إلى ثلاثة مستويات، المستوى الأرضي أين تمارس السلطة حيث الحياة بكل أشكالها، ويتوسط هذا العالم المستوى السفلي أو تحت أرضي[3]، ويعرف باسم كزيبالبا "Xibalba" الذي يعني في لغة اليوكاتاك (الميكسيك) بالشيطان أو العفريت. يمكن الدخول إلى العالم السفلي عبر الكهوف والآبار الطبيعية "Tz'onot" و عبر البحار و الأحواض[4].

ينقسم هذا العالم بدوره إلى تسع طبقات يتحكم في كل واحدة سيد من أسياد الظلام ، و في رمزية المعتقد عند المايا، فإن العالم السفلي هو عالم الموت والأرض الخصبة في نفس الوقت.

أما المستوى الثالث وهو المستوى السماوي أو العلوي فتسكنه بعض الآلهة وكل الأسلاف لشعب المايا كما أنه مسكن الشمس قبل كل شيء خاصة " شمس النهار" المانح للحياة بحرارته المعتدلة أي منبت المزروعات خاصة نبتة الذرى المقدسة ، لكنه محرق مانح للموت أيضا عندما ترتفع الحرارة إلى أقصاها فينتج عنها الجفاف[5] و إتلاف المزروعات.

يتشكل هذا العالم من ثلاثة عشرة سماء أو طبقة متوازية و يرى "طومبسون" أنها تقع في شكل سلم متناظر الجهات بحيث تكون ست درجات صاعدة نحو الجهة الشرقية و ستة أخرى نازلة نحو الجهة الغربية و الدرجة الباقية أي الثالثة عشرة تشكل قمة السلم و بذلك تقع الطبقات وفق نظام متقابل بحيث تناظر الطبقة الأولى الطبقة الثالثة عشرة و الطبقة الثانية الطبقة الثانية عشرة وهكذا...[6] ، هذا ما يمثله الشكل الهرمي المدرج [7] في بناء المعابد عند المايا.

المجلد: (16)	العدد: (02)	السنة: 2024	صفحات المقال: 830–848	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

أما في التصور الأفقي للكون فيرى المايا بأنه مجزأ إلى أربعة أقسام بحيث تظهر الأرض أو العالم الأرضي في صورة مسطح مستو مربعة الشكل حدودها الاتجاهات الأربعة : الشرق، الغرب، الشمال و الجنوب ترافق كل منها لون خاص حيث يرتبط الشرق دائما باللون الأحمر و الشمال باللون الأبيض أما الغرب باللون الأسود و الجنوب باللون الأصفر؛ لان في معتقد المايا الشرق يرتبط ارتباطا وثيقا بالشمس و بالتالي النهار أما الغرب يرتبط بالعالم السفلي و الظلام، أما الجنوب يرتبط بمسار كوكب الزهرة و يرتبط الشمال بالقمر[8] .

يمثل الشكل المربع في الرمزية عند المايا بالعالم المادي و المحسوس وانه ينحدر من الصليب حيث العدد المقدس فيه ليس أربعة و إنما العدد خمسة ، وهو العدد الناتج عن تقاطع خطوط الصليب أي يمثل مركز الأرض و بالتالي مركز العالم ككل بمعنى يمثل أيضا مركز الطبقات السماوية و طبقات العالم السفلي لأنه يعد نقطة اتصال و تواصل بين مختلف مستويات الكون[9]، كما يعد المحور الذي يصل قطبي الكون ويرمز له المايا بالشجرة العملاقة من فصيلة القطنيات البرية السايبا "le ceiba"[+] ويعلوها طائر "الكويتزال" احدى التشخيصات للإله اتزامنا "Itzam naa" أو ياكس اتزام "yax Itzam" الأكثر تقديسا و هو من نفخ الروح المقدسة في العالم[10]، و لهذا يعتبر هذا المحور الاتجاه الخامس للكون يرافقه اللون الأخضر.

و هذه الليونة التي تظهر واضحة في مختلف الرسومات و المرتبطة بالكون، جعلت المؤرخ "بودي كلود" يعارض فكرة وجود الآلهة او حتى مفهوم الإله عند المايا على الأقل بدليل عدم وجود تجسيدات ثابتة المعالم و الصفات لأي معبود مقدس، فمثلا يرى بأنه لا وجود لعبارة الإله الشمس "le dieu soleil" لكن هناك مظاهر متعددة للشمس باختلاف المخلوقات المجسدة لأحد المظاهر، و تبقى كل هذه المخلوقات مرتبطة بعالم الشمس[11].

3- الآلهة .

رغم كل الصعوبات التي تكتنف موضوع الديانة عند المايا يمكن تحديد بعض الآلهة من خلال عناصر رمزية نموذجية ثابتة في كل المجال الجغرافي لحضارة المايا باختلاف الفترات الزمنية، وهذه العناصر هي الصفات الأساسية التي وصف بها المايا أهم الآلهة وأكثرها انتشارا وتقديسا وذلك استنادا إلى أسمائها المعروفة عند أحفاد المايا؛ والمايا انفسهم في الفترة الكلاسيكية و من خلال المصادر الكتابية والحروف الأبجدية التي وضعها الباحث

المجلد: (16)	العدد: (02)	السنة: 2024	صفحات المقال: 830–848	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

شلحاس (schellhas) للآلهة الواردة في المدونات في شكلها الرمزي أي الغليفات في كتابه المعنون "representation of dieties of the maya manuscripts" بالإضافة إلى النقوش والرسومات التي تزين النصب و الأواني الفخارية.

تعددت الآلهة عند المايا بتعدد الدراسات وهذا نتيجة استناد الباحثين إلى مصادر دون الأخرى فهناك، من اعتمد على ما ورد في صور وغليفات ورموز المخطوطات خاصة مخطوط درازدانسيس وهناك من اعتمد على الرسومات المختلفة المرتبطة بمواضيع أسطورية التي تزين مختلف الأواني الخزفية أو النصب؛ القليل من الباحثين حاول التوفيق بين مختلف المصادر فتقلص عدد الآلهة نتيجة التشابه بين كل ما ورد عنها، وعليه سوف أذكر من هذه الآلهة ما ينسب فقط لشعب المايا والتي وجد أثرها في الرسومات والنقوش والمخطوطات في نفس الوقت و بنفس الصفات و الأدوار التي تميزها .

3-1- الإله (د) (le dieu D):

يحمل اسم "اتزامنا" (Itzamnaa) ويرى الباحثون أن هذا المعبود هو أول و أقدم المعبودات عند شعب المايا حيث يوصف على انه أكبرها و هو الخالق ،و كل المعبودات الأخرى ما هي إلا المظاهر المختلفة له مثل الشمس و المطر و غيرها[12] و يعني مصطلح "اتزامنا" لغة "بيت الثعبان الزاحف " أو "بيت الاغوانا" (Iguane) و يرمز الثعبان إلى السماء والأرض والعالم السفلي في نفس الوقت ولأن "اتزامنا" هو الخالق فيجمع كل هذه المظاهر[13].

ويتضح من الملامح المميزة له على أنه إله مسن، عيناه مربعة الشكل، وأنف روماني وفم بسن واحدة ذو صدغ كبير، قد يظهر هذا المعبود في صورة امرأة مسنة يحيط برأسها ثعبان، لهذا الإله عدة مهام حيث ترقع بإبرة شبكة و تحمل بيدها محبرة مداد وفرشاة[14] ربما رمزية لإصلاح ما يفسده البشر و الطبيعة ، وكتابة الاقدار و رسم حياة المخلوقات.

كما وردت عدة اسماء للإله إتزامنا: إتزامنا تول "t'ul Itzamnna"، إتزامنا كنيش اهاو "Itzamnna Knich Ahaw"، إتزامنا كابول "Itzamnaa Kabul" و أخيرا إتزامنا كاب اين " Itzamnaa Kab Ain". حيث يعني المصطلح الأول الأرنب، و الثاني سيد وجه الشمس والثالث الخالق، أما المصطلح الأخير فيعني أرض التمساح [15]. يصور المايا الإله "إتزامنا" في مختلف الرسومات على أنه تنين برأسين يقع كل واحد عند طرفي الجسد، أحدها حية والثانية ميتة؛

المجلد: (16)	العدد: (02)	السنة: 2024	صفحات المقال: 830–848	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

حيث ترمز الرأس الأولى أي الحية إلى باب السماء من أين تولد النجوم عند الشرق، والأخرى ترمز إلى الغرب حيث غروب الشمس والنجوم[16]. وفي قراءات أخرى يرى الباحثون أن التنين هو مزيج بين الطائر و الثعبان في أصل التصور لكن أضاف المايا له صفات و مميزات لحيوانات مقدسة أخرى مثل اليغور، الاغوان، التمساح والأيل مما يجعل التنين حيوان خارق ذو قدسية مهمة و عليا، و بهذا يتصل التنين بالقوى الحية الكامنة في الأرض في شكله ثعبان– أيل و بالعالم السفلي بشكله اليغور والعالم المائي بشكله اغوان– تمساح. أما اتصال التنين بالسماء فبواسطة الصفات المميزة لطائر الكويتزال، و قد احتلت صوره في الرسومات المختلفة مكانة أساسية عند المايا[17] وعليه فإن التنين أو الثعبان في رمزيته الدينية يمثل القوة الكونية الحية الخالقة للكون وعناصره المختلفة، متصل بالشمس والأرض بالدماء و بذور الذرى النبتة المقدسة.

3-2-الإله "ب" "le dieu B"، إله المطر:

اطلق عليه اسم شاك "Chac" [18]مرتبط بحقول الذرى و بالمياه عامة ليس فقط الأمطار وإنما أيضا بمياه الأحواض والأنهار والبحار[19]. ومن الواضح أنه إله مرتبط بالحياة والخصوبة و الخلق[20]، لذلك يصوره شعب المايا في مختلف الرسومات والنقوش إما جالسا تحت الماء أو فوقها، و أحيانا واقفا تحت الأمطار[21].

يظهر الإله "شاك" بوجه تميزه سمات الزواحف خاصة الثعبان له أنف طويل في شكل خرطوم يعلوه فم مسنن أحيانا، أما رأسه فتعلوه كتل صغيرة من القطن أو رأس أيل أو عصا للحفر، تزين أذناه أقراط أسطوانية الشكل وفي عنقه عقد من اليشم (الجاد)، يحمل بيده رمحا أو درعا، مجذافا أو عصا و تارة أخرى حبلا أو مشعلا [22] وهذا يدل على مختلف الصفات التي يحملها باختلاف المهام التي يؤديها.

كما تنسب الصواعق والبرق والرعد إلى الإله شاك و التي يحدثها بواسطة الازميل الذي يظهر في يده في رسومات مختلفة وهو جالس أعلى شجرة الكون فيرمي بالأزاميل نحو الأرض لإحداث إحدى هذه الظواهر الطبيعية وقد وجدت العديد من الأزاميل الحجرية المصقولة في الكثير من المواقع الأثرية المنتشرة عبر المجال الجغرافي لحضارة المايا؛ و يطلق عليها أحفاد المايا حاليا أزاميل شاك[23].

المجلد: (16)	العدد: (02)	السنة: 2024	صفحات المقال: 830–848	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

3-3- الإله "A"، إله الموت:

يتميز بجمجمة ذات فك بارز و جسد مقوس بارز العمود الفقري والأضلع، يعلو الرأس عادة نبتة الذرى و أحيانا الثعبان، يزين أذنيه عظمتين، كما في المدونات يظهر في شكل امرأة، يزين عنقها و ذراعيها وكعبيها عقود من الجلجل، تمسك بيدها صرة تارة ، الكوبالت أو مزهرية تارة أخرى أو منسج في بعض الأحيان. وتأثيرها دائما سلبي[24] كناية عن الاعمال التي قدمها الانسان في حياته وهي محفوظة لدى الاله .

اضافة إلى هذه الآلهة فإن الشمس لا تقل أهمية كمعبود أساسي حيث يعتبر سيد الوقت، فدورته اليومية و السنوية تُحدد مسار و تعاقب الليل و النهار كما تحدد الجهات الأربعة للكون، يرمز له بزهرة رباعية البتلات، و لا يمكن إدراكه، فعندما يكون في السماء فهو النور، الحياة و اليوم، النظام و الحيز مما يعطيه مظهر خير نافع و حيوي، لكنه يتحول إلى طاقة تحمل الموت عندما يدخل العالم السفلي عند الغروب و يرمز له بحيوان "اليغور"[25] .

عليه يمكن تلخيص مميزات الآلهة عند شعب المايا خلال الفترة الكلاسيكية بما يلي:

- أن معظم المعبودات لها صفات الزواحف خاصة الثعابين منها و التماسيح ممزوجة بصفات بشرية.
- ارتباط كل معبود بالجهات الأربعة والألوان المرفقة بها مما يجعلها إله منفرد أو رباعي لكنه يشكل وحدة إلهية بكل المظاهر.
- ازدواجية المظهر من خير وشر، نافع وضار؛ ويمكن أن يكون مزدوج الجنس (مظهر ذكر و مظهر أنثى).
- يمكن لإله واحد أن يكون سماويا و أرضي في نفس الوقت مثل الإله "شاك" إله المطر أو "إتزامنا".

لا يمكن التحدث عن المعتقد والآلهة دون التطرق إلى الطقوس والاحتفالات الدينية التي تربط الإنسان بمقدساته؛ فقد مارس شعب المايا عدة طقوس صاحبتها تقديم قرابين مختلفة النوع منها ما هو نباتي و منها الحيواني و القرابين البشرية، إضافة إلى القرابين من الأحجار الكريمة خاصة حجر اليشم؛ و ذلك خلال احتفالات مبرمجة تحددها الحسابات المرتبطة بالتقاويم التي وضعها شعب المايا لحساب الزمن.

المجلد: (16)	العدد: (02)	السنة: 2024	صفحات المقال: 830–848	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

4- الطقوس والاحتفالات:

4-1-الطقوس:

تظهر الطقوس من خلال الاستنتاجات لمختلف المجسمات و المخلفات الأثرية على أنها جملة من التقنيات التي يقوم بها الإنسان و الموجهة في غايتها النهائية للتأثير على الكون و القوى المتحكمة فيه سواء كانت مشخصة أم لا. و هذه الأفعال الطقوسية متعددة عند المايا أهمها التضحية[26]، و هي نوعان: التضحية بالبشر أو الحيوان و التضحية الذاتية، و تكون هذه الطقوس من التضحية تقربا إلى الآلهة بواسطة سفك الدماء و سيلانها بغرض إطعام الآلهة[27]، حيث أن الآلهة في معتقد المايا ليست آلهة نافعة بدون مقابل فإنها لا تعطي الخيرات إلا إذا أحسن الإنسان التصرف معها من خلال نوع القرابين التي يقدمها لها عرفانا و شكرا لأفعالها الخيرة و النافعة [28]، و من هذه القرابين المتعددة نجد كل ما هو قابل للتبخير مثل بخور الأزهار الطيبة (الفيحاء)، و الكوبالت، والمطاط و أيضا أنواع الأطعمة و أنواع الشراب لأن القوى التي تقدم لها غير ملموسة وغير مرئية؛ لتبقى أهم هذه القرابين تلك المادة الحية الكامنة في الدماء سواء كانت حيوانية أم بشرية منه فإن سيلان الدماء و موت الضحية تحرر تلك الطاقة الحية!!! [29] .

4-1-1-التضحية بالبشر والتضحية الذاتية:

اعتقد المايا أن بدون تفعيل الطقوس الدينية، ستفقد الأرض خصوبتها كأن لن تسقط الأمطار أبدا، و يتوقف مسار الشمس و تموت مما ينجر عنه موت كل العناصر الكونية ومن ثم نهاية العالم.

بالتالي فإن الطقوس تقرب الإنسان من الآلهة كما تقوي عبادتهم و هي المهمة الأساسية التي خلق من أجلها[30]. أما الغامض والمجهول في عملية التضحية هي المناسبات التي يضحي فيها المايا بالبشر ومدى انتشارها في المجال الجغرافي لحضارتهم، كما يجهل الباحثون عدد هذه الأضاحي، غير أنهم يؤكدون بأن أسرى الحروب هم اكثر المعرضين للتضحية بهم[31].

تستمد الطقوس الدينية قدسيتها عن طريق ترأس الحاكم الذي هو على قيد الحياة للعملية، ما دام وريثا للعائلة الحاكمة التي تعود أصولها الأولى إلى نسب الأسلاف الأولين الذين التحقوا بعالم الأرواح بعد وفاتهم حيث التقائهم بالقوى الحافظة. ولذلك من الواجبات

المجلد: (16)	العدد: (02)	السنة: 2024	صفحات المقال: 830–848	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

الأساسية التي تقع على عاتق الحاكم، تفعيل الطقوس الدينية و الإشراف على حسن سيرها بنفسه لأنه أيضا يعتبر كاهنا و المترجم الوحيد لإرادة الآلهة.

عليه وجب الإذعان والخضوع للقوى الكونية حفاظا على نظام الكون، فإليه يرجع أمر اختيار الأضاحي فكلما كانت المكانة الاجتماعية للأضحية راقية، كانت درجة التضحية أكبر وأعلى. لهذا فإن الحاكم نفسه يعتبر من أهم الأهداف أثناء الحروب لأنه يمثل الأضحية أو القربان الأكثر أهمية للتقرب من الآلهة ودمه أكثر قداسة، وغير ذلك فإنه من الواجب على الحاكم وأفراد عائلته ومقربيه تقديم بعضا من دمائهم كهدية للآلهة أثناء عمليات خاصة طقوسية خلال التضحية الذاتية[32].

لا يوجد في مختلف الرسومات التي تزين الخزفيات أو الجدران، و لا في النقوش المحفورة على النصب و غيرها ما يثبت فعلا أن شعب المايا قد مارس بالفعل التضحية بالبشر سواء بتقنية نزع القلب أو قطع الرأس أو غيرها، الرسومات الوحيدة نجدها في كتاب القس "دي لاندا" و الذي يصف العملية بشئ من التفصيل من حيث المكان الذي تقع فيه الطقوس و كيف ترمى الضحية بالسهام ونزع القلب وغيرها . من المؤكد ان المايا يقدمون العديد من الحيوانات قرابينا للآلهة من مختلف الطيور والحيوانات المفترسة وحتى أنواع الأسماك بعدما تستخرج الدماء منها ونزع القلب من بعضها، كما يقدمون أيضا المواد الغذائية من خبز الذرى والشراب، بالإضافة إلى هذا النوع من الطقوس مارس شعب المايا نوعا آخر من التضحية وهي التضحية الذاتية.

مارس المايا التضحية الذاتية بخلفية نفس المعتقد القائم على فكرة إطعام الآلهة بالدماء، حيث يتعمد المُضحي بإرادته جرح نفسه لاستخراج بعضا من دمائه لكن دون التسبب في موته وذلك بواسطة أدوات حادة مثل إبرة عظمية، حبال بها أشواك، سكين من حجر السبج، وأكثر الأدوات استعمالا شوكة شفنين البحر(Raie)، بالإضافة إلى الأنية التي بها شرائط ورقية لامتصاص الدماء السائلة لتقدم للآلهة. أما المناطق التي تجرى عليها العملية فهي متعددة، منها حلمة الأذن، الذراعين أو الساقين وحتى اللسان والخدود والعضو التناسلي[33].(الملحق 2) ورد في هذا الموضوع في كتاب القس دي لاندا(De landa) بأن المايا يمارسون عملية التضحية على أنفسهم بإسالة دمائهم وهو فعل إرادي حيث يعمدون إلى قطع أجزاء من

المجلد: (16) | العدد: (02) | السنة: 2024 | صفحات المقال: 830–848 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

آذانهم، وأحيانا أخرى بثقب المُضحي خدوده أو شفته السفلى أو بثقب اللسان ويمررون من خلال الثقب حبل يحمل أشواكا[34]؛ كما جسد المايا هذه التضحيات في مخطوط "تروكورتيزيانوس" (Tro-cortisianus) (انظر الصورة رقم 53– ص 190).

4-1-2- التبخير و البخور:

يعتبر إحراق البخور من العمليات المصاحبة للطقوس الدينية وذلك لاستخراج الروائح الطيبة منها و تصاعد الأبخرة نحو الأعلى أي إلى السماء تدريجيا لتختفي في العالم العلوي لتشكل نوعا من الاتصال بين هذا العالم و عالم الإنسان، لأن الهدف المباشر من هذا الطقس هو جذب انتباه الآلهة أو غيرها من القوى ما وراء الطبيعة بواسطة قربان يتمثل في الرائحة الزكية ؛ كما يمكن للدخان المتصاعد أن ينقل من غير الرائحة رجاء أو طلبا معينا أو حتى قربانا آخرا.

هذا التواصل بين العالم المرئي والعالم الخفي بواسطة البخور يمكن أن يكون مباشرا أو عن طريق صور تجسد القوة الخفية المقصودة. من اهم المواد التي استعملها انسان المايا بخور مادة الكوبال "Copal" وفقا لمختلف القطع التي شكلت المبخرات التي عثر عليها في مختلف المواقع الأثرية لمدن المايا (الملحق3). غير أن الرسومات والمجسدات التي تزين المبخرات لا ترتبط فقط بالقوة التي يقدم لها القربان وإنما قد ترتبط أيضا بنوع القربان أو المادة المقدمة.

4-1-3-الطقوس الجنائزية:

يتضح من خلال دراسة محتوى مختلف قبور الفترة الكلاسيكية في المواقع الأثرية من المجال الجغرافي لحضارة المايا والتي اكتشفها الأثريون، بأن المايا مارسوا طقوسا جنائزية واحتفالات معقدة ارتبطت أساسا بفكرة مصير الإنسان بعد الموت، إذ اعتقد المايا بأن الجسد فان و الروح باقية و أبدية، لأنها تنفصل عن الجسد بعد الوفاة مباشرة لتسكن نهائيا في إحدى الطبقات الثلاثة للعالم السفلي، كزيبالبا"Xibalba" أدنى طبقة، السماء أعلى طبقة و جنة الشجرة المقدسة[35]، و بالتالي يمكن القول أن المايا، آمنوا بالحياة ما بعد الموت، شأنهم في ذلك شأن أغلب أقوام الحضارات القديمة بحيث يعتبر القبر او اللحد النقطة النهائية لحياة الإنسان الجسدية، لتستمر الحياة بعدها في شكلها الثاني حيث يصبح المتوفى بروحه سلفا مقدسا[36]. لذا

المجلد: (16)	العدد: (02)	السنة: 2024	صفحات المقال: 830–848	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

فإن تقديس الأسلاف بالغ الأهمية، باعتبارهم حلقة وصل ووسيط بين الأحياء والقوى ما وراء الطبيعة[37]. فتجدهم يرفقون موتاهم بأواني مختلفة، يقدمون لهم من خلالها الطعام والشراب، لأن استمرار حياة الموتى من الأسلاف في العالم السفلي مرهون بتوفير عناصر الحياة الضرورية تقيهم الجوع والعطش كما يسمح باستمرار الرابطة العائلية بين المتوفى وأهله، فإذا جاع الأسلاف فذلك نذير شؤم لهم[38].

5-الأواني الجنائزية الفخارية:

أفضل الأواني القرابين التي حافظت على شكلها واحيانا على محتواها، هي الأواني الفخارية خاصة المزهريات – المخطوطات(vases codex)، نسبة إلى الزخارف والرسومات المتعددة الألوان والمشابهة كثيرا في نوعها ومضمونها بما ورد في المخطوطات. شكلها عامة أسطواني تعلوها أحيانا غطاءات كما نجد أيضا الأكواب الصغيرة، تزين هذه الأواني زخارف ورسومات لحيوانات خارقة، كما تصور مشاهد أسطورية، يظهر الملك من خلالها في احتفال ديني بجانبه مخلوقات خارقة تؤدي طقوسا ورقصات وتقدم قرابين. ونظرا للحالة الجيدة التي وجدت عليها تلك الأواني استنتج الباحثون أنها أواني صنعت بإتقان خصيصا للطقوس الجنائزية و لمرافقة المتوفى طول حياته في العالم السفلي[39].

احتوت القبور إلى جانب هذه القرابين الفخارية، أدوات مختلفة لا تقل أهمية خاصة الأغراض الشخصية للمتوفى، مثل الأسلحة التي تدل على أن صاحب القبر كان محاربا، أما وجود طاحونة أو منسج، دليل على أن الميت امرأة. و هكذا فإن محتويات القبور تقدم صورة عن الطبقات الاجتماعية والمهن التي مارسها شعب المايا، إضافة إلى هذه الأدوات بقايا عظمية حيوانية سواء كانت برية أو بحرية، أحجار مصقولة من اليشم، ومن حجر الصوان وحجر السبج، وقواقع بحرية سواء كانت معالجة أو خام. كثرة هذه القرابين ونوع زخارفها هي التي تُمكن من تحديد الطبقة الاجتماعية للمتوفى.

رغم وحدة الممارسات للطقوس الجنائزية والتي تعرّف عليها الباحثون إلا أنه لا وجود للمدافن حتى وإن دام تعمير المدن قرونا من الزمن مثل مدينة تيكال (Tikal)التي عثر فيها على حوالي عشرون قبرا فقط. أين هي إذن بقايا الهياكل العظمية لباقي شعب المايا والذي يفوق تعدادهم الآلاف من الأشخاص الذين عاشوا بتلك المراكز المدنية الكبرى؟ في انتظار

المجلد: (16) | العدد: (02) | السنة: 2024 | صفحات المقال: 830–848 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

الأجوبة القاطعة يمكن افتراض عادات جنائزية أخرى مثل اتلاف الأجساد بإحراقها أو غيرها[40].

أما القبور الملكية فتتوسط القاعة الجنائزية الفخمة المتواجدة أسفل الهرم الذي يعلوه المعبد، مثل هذه القبور التي تم الكشف عنها نجد قبر الملك كنيش جناب بكال " K'inich Janaab Pakal" حاكم مدينة "بالنك" و يبقى فريدا من نوعه، يحتوي نقوشا تصور مشاهد أسطورية خاصة مشهد الطريق الذي يسلكه المتوفى للدخول إلى العالم السفلي، كما احتوى القبر على قرابين مختلفة من أواني فخارية و حلي ثمينة، قناع من اليشم يغطي وجهه، وقلادة من اللؤلؤ و اليشم تزين عنقه و خواتم ثمينة في موقع الأصابع (الملحق 4).

6- الاحتفالات الدينية:

أما عن الاحتفالات الدينية، فقليلة هي المعلومات التي تعرف الباحث عن طبيعتها، إلا ما تركه القس "دي لاندا" من وصف لبعض المناسبات الاحتفالية وذلك في منطقة "يوكاطان" (yucatan)خلال الفترة الإسبانية؛ وترتبط هذه الاحتفالات غالبا بالتقويم الطقوسي الديني أي بتقويم تزولكين(Tzolkin) أي التقويم القمري ذو 260 يوما[41]، ومن أهم الاحتفالات تلك المتعلقة بحلول السنة الجديدة، حيث يستعد المايا لاستقبالها من خلال القيام بأعمال مختلفة وتقديم قرابين وإحراق البخور؛ إضافة إلى الصيام لمدة ثلاثة عشرة يوما كعملية تطهيرية جسدية وروحية، خاصة الحاكم ومجموع الكهنة وأفراد الطبقة العليا، كما ان المايا لا يغادرون بيوتهم إلا لأداء بعض الطقوس الجماعية، وشراء البخور ولا يمشطون شعورهم ولا يغسلون وجوههم و ذلك لمدة الخمسة أيام المعروفة "بالوياب"(wayap) أو الأيام النائمة ولا تحمل اسما في تقويم "تزولكين" باعتبارها أيام نحس و ضارة للإنسان وتؤثر سلبا على الحياة عامة، لذلك فإن المايا لا يقومون بأعمال شاقة خلالها خوفا من أن يصيبهم مرض أو مصيبة قد تؤدي إلى وفاة الشخص أو أحد أفراد عائلته.

يشترك كل الشعب في احتفالات حلول السنة الجديدة لأنه احتفال يخص كل الآلهة و ليس إلها معينا؛ فيتخلص المايا من كل الأشياء القديمة المستعملة خلال السنة المنقضية من أواني و البسة وأقمشة و غطاءات حيث توضع خارج الحدود السكنية لتحرق لاحقا، بعد انتهاء الاحتفالات؛ و في اليوم الأول من السنة الجديدة يجتمع الجميع في الساحة الكبرى للمعبد –

المجلد: (16)	العدد: (02)	السنة: 2024	صفحات المقال: 830–848	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

الهرم، و هم في كامل زينتهم يحملون مختلف أنواع القرابين، من المأكولات والمشروبات والهدايا الثمينة[42] إضافة إلى احتفالات أخرى تخص الحياة الاجتماعية موزعة على مدار السنة وفقا للمواعيد الاحتفالية التي ينص عليها تقويم تزولكين (Tzolkin)، فمنها ما يتعلق بالزراعة وبالصيد ومنها ما يرتبط بسقوط الأمطار والجفاف حيث يقوم المايا باسترضاء الآلهة بتقديم القرابين الخاصة وإحراق أنواع البخور وفي بعض الأحيان تقديم أضاحي بشرية وحيوانية؛ وغالبا ما ترافق هذه الاحتفالات والطقوس جملة من الرقصات الخاصة على وقع إصدار أصوات موسيقية من بعض الآلات الموسيقية التي عرفها المايا وصنعوها لأجل ذلك منها آلة البوق؛ يؤدي الرقصات والموسيقى أشخاص يبدو أنهم ذوي خبرة واختصاص، الأمر الذي توضحه بعض الرسومات الجدارية مثل تلك الموجودة على جدران معبد مدينة "بونمباك" (Bonampak)، و رسومات أخرى على المزهريات الخزفية وبعضا من النقوش الزخرفية على أعمدة المعابد، بحيث يظهر الأشخاص رافعين أحد عقبيهم عن الأرض أو اتجاه حركة الأطراف العلوية [43].(الملحق 5)

خاتمة :

ارتبط المعتقد الديني عند المايا بمختلف العلوم التي طوروها، خاصة ما تعلق بالفلك المرتبط بسيرورة الكون، لذلك يمكن اعتبار المعارف الرياضية والفلكية والزمنية للمايا علما موضوعيا من منظور المبدأ الغربي لتعريف العلم، لكن من منظور أصحاب هذه المعارف تعتبر كوسيلة ربط جملة من المخلوقات بالمقدسات، بحيث تعتبر كل العناصر الكونية قوى مقدسة مؤثرة على عالم البشر الهدف من تطوير المعارف عنها حماية الإنسان ومساعدته على تأمين متطلباته المادية و التنبؤ بمستقبله، كما ترتبط أيضا بالمعتقد والدين كون تلك القوى المقدسة قوى نافعة و ضارة في نفس الوقت فالقوة المتحكمة في الأمطار ترمز إلى الخصوبة لأنها مصدر الحياة حيث تنبت الزرع لكنها أيضا تتلفه وتقتله بالفيضان. لهذا عمل الإنسان على إيجاد الوسائل المناسبة للحفاظ على مكتسباته و تحسين وتطوير مستقبله.

لذلك، يعتقد المايا أن عملية خلق الإنسان مرتبطة أولا بتنظيم الكون بعبارة أخرى بتسيير كل العناصر الكونية في نظام متكامل متناسق ونمط موحد وليس في نظام مجزأ

المجلد: (16)	العدد: (02)	السنة: 2024	صفحات المقال: 830–848	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

تنفصل العناصر بعضها عن بعض. وبالتالي فإن ذلك النظام يعني إنشاء قوة القوانين المسيرة وخلق روابط متكاملة لمعنى الحياة والموت الازدواجية المتلازمة.

فمثلا: في معتقد المايا أن الشمس كقوة مقدسة ومسيرة، تجري في نسق منظم ومستمر رابطة في مسارها بين الطبقات الكونية الثلاثة، العالم السفلي عالم الموت، العالم العلوي السماء وعالم الأرض عالم البشر وباقي الكائنات؛ ومن خلال مسارها ذلك وضعت حدا للفاصل الموجود بين السماء والعالم السفلي من خلال بعث نورها مصدر الحياة على وجه الأرض ومن خلال دورتها المنتظمة من شروق وعلو وغروب ومنه نشأ مفهوم الحياة والموت والبعث.

ورغم كل ما توصل إليه الباحثون والجهود المبذولة في معرفة تفاصيل المعتقد والاساطير عند شعب المايا، فإن المعلومات تبقى ناقصة في الكثير من الجوانب او ليست مستوعبة بعد .

الملاحق :

الملحق1: صحن فخاري ملون يتضمن الرسم الظاهر عليه أسطورة خلق الكون.

المرجع: Grube (N), op.cit, p. 287

المجلد: (16)	العدد: (02)	السنة: 2024	صفحات المقال: 830–848	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

الملحق 2: امرأة تقوم بعملية التضحية الذاتية

المرجع : Taladoire, Les Mayas , op.cit ,p. 12

الملحق 3 : مبخرة فخارية من مدينة تيكال

المرجع : Grube (N) ,op.cit , p. 162

الملحق 4: عن غطاء لقبر الملك جناب باكال

Grube (N) , op.cit , p. 314
المرجع:

المجلد: (16)	العدد: (02)	السنة: 2024	صفحات المقال: 830–848	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

الملحق5 : تمثل رسما جداريا لموسيقيين أثناء احتفال ديني طقوسي ينفخون في أبواق

المرجع : Grube , op.cit, p. 239

5. الهوامش:

1-Thompson (Eric), Grandeur et décadence de la civilisation maya, 2003,Trad.Jouan René, ed. Payot et Rivages ,Paris, ,p.247
2-Baudez (Claude), les mayas, 2009 ,3ème ed., Paris, ed. les belles lettres,p.121
3-Taladoire(Eric), Les Mayas, 2010 , Paris ,ed. Du chene,Hachette., p. 128
4-Davoust(Michel), L'ecriture maya et son dechiffrement, 2002, Paris, ed . CNRS , p. 85.
5-Taladoire(E), op.cit.p .128
6- Thompson (E), op.cit, p.245.
7-Taladoire (E), op.cit, p.128
8-Thompson(E),op.cit,p. 245
9-Grube (Nicolai), Mayas :les dieux sacrés de la foret tropicale, 2007, Paris, ed . Ullmann, p.287/ Coe (Michael), the maya, 8th ed. .2011, USA, ed.thames et Hudson ,p.223 .
* هي شجرة من فصيلة القطنيات تنمو في الغابات الاستوائية يبلغ طولها حوالي خمسة أمتار و جذعها عمودي مستقيم بشكل مذهلو ملفت و تتفرع منه أغصان متجهة في الاتجاهات الأربعة للبوصلة يستغلها المايا في أداء بعض الطقوس. تحمل هذه الشجرة زهورا بيضاء اللون و التي ترمز في معتقد المايا إلى روح الإنسان.
10-Grube (N),op.cit , p. 287.
11-Baudez(C), les mayas, p.127.
12-Demarest (Arthur), Les mayas, 2007, Paris, ed . Tallendier, p.180 ./ Coe (M), op.cit, p.224
13-Longhena (M), L'écriture maya, 1999, Paris,Trad .Giordano (Ida), ed. Flammarion , p.86.
14-Scellhas (paul), 1904, « representation of dieties of the maya mauscripts », in Pepers of peabody meseum of american archeaology, Peabody meseum, V. II , N° 1, p.23.

المجلد: (16)	العدد: (02)	السنة: 2024	صفحات المقال: 830–848	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

15-Davoust (M), op.cit, pp.92-93.
16-Stierling (H), Maya :Palais et Pyramides de la foret vièrge , 2001, Italie ,ed. Taschen , p.60.
17-Arrelano (H) ,les mayas classiques, 1998, Paris, ed .maison neuve, pp.116-117
18-Davoust (M), op.cit, p.90.
19-Arrelano (H), op.cit, p.121.
20-Longhena (M), op.cit, p.87.
21-Schellhas (P), op.cit, p.19.
22-Davoust(M), loc.cit
23-Thompson (E), op.cit, p.250.
24-Schellhas (P), op.cit, p.11.
25-Arrelano (H), op.cit, p.118.
26-Baudez (C), les mayas, op.cit, p.130.
27-Grube (N), op.cit, p. 268.
28-Thompson (E), op.cit, pp.263-264.
29-Arrelano (H), op.cit, p.126
30-loc.cit, p.126.
31-Baudez (C), une histoire de la religion des mayas, 2002, Paris, ed .Albin Michel, p. 215.
32-Taladoire (E), op.cit, p. 126
33-Arrelano (H), op.cit, p.127/Baudez (C), les mayas, p. 134.
34-Brasseur (CH), Relatiocion de las cosas de yucatan de Landa, 1864, Paris, ed .Durant Auguste, pp.161-163.
35-Grube (N), op.cit, p.318.
36-Demarest, (A) op.cit, p.176.
37-Grube (N) , op.cit, p.318.
38-Demarest (A) , op.cit, p.176.
39-Taladoire (E), op.cit, pp.138-139.
40-Taladoire (E), op.cit, p.139.
41-Thompson (E), op.cit, p.274.
42-Brasseur (CH), op.cit, pp.277-279 et suiv.
43-Baudez (C),op.cit, p .256.

المجلد: (16)	العدد: (02)	السنة: 2024	صفحات المقال: 830–848	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

1-المراجع:

-Arellano(Hernandez), les mayas classiques, 1998, Paris ed .maison neuve.

-Baudez(Claude) une histoire de la religion des mayas, ed .Albin Michel.

-Baudez (Claude), Les Mayas , 2009 , 3ème ed., Paris, ed. les belles lettres.

-Brasseur(Charles-E), Relatiocion de las cosas de yucatan de Landa, 1864, Paris, ed .Durant Auguste .

-Coe(Michael) , The maya, 2011, U. S. A, 8th edition, ed .Thames et Hudson ,8th edition.

-Davoust(Michel), L'ecriture maya et son dechiffrement, 2002, Paris, ed . CNRS .

-Demarest(Arthur), Les mayas, 2007, Paris, ed . Tallendier.

-Grube(Nicolai) , Mayas :les dieux sacrés de la foret tropicale, 2007, Paris, ed. Ullmannn,.

-Longhena(Maria) , L'écriture maya, 1999, Paris, Trad .Giordano (Ida), ed. Flammarion.

-Stierlin(Henry) , Maya :Palais et Pyramides de la foret vierge , 2001, Italie ,ed. Taschen.

-Taladoire(Eric) , Les Mayas, 2010, Paris, ed. Du chene,Hachette .

-Thompson(Eric) , The Maya history and religion , 1970, U.S.A ed. University of Oklahoma Press..

-Thompson(Eric) , Grandeur et décadence de la civilisation maya, 2007, Paris ,Trad.Jouan René, ed. Payot et Rivages.

2- المقالات:

-schellhas(Paul), 1904, « presentation of deities of the maya manuscript », in Pepers of the peabody museum,of american archeaology, Peabody meseum, V. II , N° 1 .